اجتهادات
الإنجليز والفرنسيون والحُرية

الصراع الإنجليزى-الفرنسى هو الأطول فى التاريخ الحديث.

بلغ أوجه فى مرحلة الاستعمار. انتهى على الصعيد العسكرى، ولكنه باق على مستويات أخرى فى مقدمتها التنافس الاقتصادى.

هذا ما يُسجلُه المؤرخون التقليديون، الذين يُعنون بتاريخ الدول والحكومات والحُكام، ويظنون أن كل ما عداهم هباءً منثورا, بخلاف من يدرسون تاريخ الشعوب الاكثر ثراء.

ويظهر مدى أهمية البحث فى تاريخ الشعبين الإنجليزى والفرنسى عندما نتأمل ردود الفعل على خطأ وقع فيه رئيس الوزراء البريطانى جونسون، وثان ارتكبه الرئيس الفرنسى ماكرون.

يتعرض جونسون لنقد واسع النطاق، ويبدو آخذًا فى الازدياد، بسبب حضوره حفلةً صغيرةً أُقيمت فى حديقةِ مكتبه فى فترةٍ فرضت فيها حكومته إغلاقًا عامًا، وفى المقابل يُنتقد ماكرون فى أوساطٍ محدودةٍ بسبب خطأ ارتكبه عندما استخدم عنفًا لفظيًا غير مُعتاد فى الخطابات الرئاسية ضد من لم يُلقحوا ضد فيروس كورونا.

وحين ننظر إلى كل من الخطأين من زاوية مستوى الإيمان بالحرية لدى كل من الشعبين، ربما يجدُ بعضُنا فى الأمر مفارقةً ما.

فالشائع أن الفرنسيين أكثر إيمانًا بالحرية، وتمسكًا بها، بل الأكثر فى العالم. غير أنه ليس كل ما يشيع صحيحًا بالضرورة.

المقارنةُ بين ردود الفعل على الخطابين تُظهرُ أن الإنجليز متفوقون فى هذا المجال، إذ لم يقبل كثير منهم خطأً يبدو فى بلدان كثيرة صغيرًا، فى حين لم يُبال الفرنسيون الذين لم تنالهم إهانة غير المُلَقحين، ولم يُدركوا أن هذا يمكن أن يحدث لهم إذا أصبح معتادًا.

ومن العناصر المُهمة فى هذه المفارقة أن بعض أنصار جونسون شاركوا فى الهجوم عليه، بينما اصطف مؤيدو ماكرون لدعمه، برغم أن الأول اعترف بالخطأ واعتذر عنه بخلاف الثانى الذى أصر ضمنيًا على موقفه.

ولهذا أصبح من الضرورى مُراجعة سردية أن الفرنسيين هم الأكثر حبًا للحرية فى عالمنا. وتأمل كيف أن التطورَ نحو الحرية فى إنجلترا حدث بشكل تراكمى وسلس منذ إصدار الماجنا كارتا فى القرن 13، بينما تطلب هذا التطورُ فى فرنسا ثلاثِ ثوراتٍ وصراعاتٍ عنيفة منذ 1789.

وهذا موضوعُ واسعُ قد نعودُ إلى بعض جوانبه لاحقًا.